

## العلامة المهاتمي وتفسيره تصنيف الرحمن وتفسيره

الأستاذ محمد هارون العزيزي الندوي

[١]

عميد قسم اللغة العربية بجامعة عزيز العلوم ، بابونغر ، شيئا غونغ -بنغلاديش

[من المعلوم أن علم التفسير من أفضل العلوم وأشرفها ، صنف فيه العلماء تصنيفات حميدة ، وألفوا تأليفات أنيقة مفيدة، بين صغير وكبير ، وبين طويل وقصير ، وجامعة بين الفوائد الجمّة واللطائف العجيبة ، ومن بين تلك المؤلفات هذا المؤلف الصغير في الحجم ، الكبير في النفع ، طلع هذا الكتاب في سماء المؤلفات كالنجم الثاقب ، واعتني به العلماء اعتناءً بالغاً ، واهتموا به اهتماماً كاملاً .  
أقدم إلى القراء الكرام دراسة خاطفة لهذا الكتاب الجليل الشأن ، ومن الله سبحانه التوفيق و السداد ]  
الكاتب

اسمه ونسبه :

هو العلامة الشيخ علي  
ابن أحمد بن حسين بن  
ابراهيم بن اسماعيل  
المهاتمي الفجراتي  
الهندي.

لقبه : وقد لقب الشيخ المهاتمي بلقبين ، زين الدين وعلاء الدين ، أما الأول :  
فكما ذكره الشيخ فقير محمد الجلمي في : "حدايق الحنفية" (١) ، وأما الثاني :  
فكما صرح به كبير مؤرخي الهند العلامة السيد عبد الحي الحسيني الندوي -رحمه  
الله- في : "الثقافة الإسلامية في الهند" (٢) .

مسكنه : ومسكنه القرية المسماة بـ "مهاتم" التي هي قرية من بلدة بومباي بثلاثة  
أميال ، الواقعة بـ غجرات ، ولذلك يقال له المهاتمي الفجراتي ، قال العلامة  
صديق حسن القنوجي -رحمه الله- : "من طائفة النوائت قوم في بلاد الدكن ،  
ومهاتم بندر من بنادر كوكن ، وهي ناحية من الدكن مجاورة للبحر المحيط (٣) .

ربيع الثاني ١٤١٨ هـ

وأما النوائت فبطن من قريش كانوا خرجوا من المدينة المنورة خوفاً من حجاج بن يوسف المبير ، كما ذكره القاضي عبد الصمد الصارم نقلاً عن "سبحة المرجان في آثار هندوستان" (٤) .

مولده و نشأته : وُلد الشيخ علي المهاتمي سنة ست وسبعين وسبعمائة الهجرية (٧٧٦هـ) (٥) ، فنشأ وترعرع وتعلم العلوم الدينية حتى فاق فيها واشتهر وصار مرجعاً للخوادم والعوام في العلوم والمعارف الإلهية ، وتلقى التربية الروحية وعني لها عناية خاصة ، فصار من كبار أرباب الطريقة وأهل النفس المطمئنة ، ومن كمل علماء الهند ، ذا شهرة باهرة ومحاسن زاهرة .

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه :

لقد أثنى على الشيخ المهاتمي كثير من أكابر العلماء والأمرء والذين اطلعوا على مؤلفاته من بعده ، التي تدل على غزارة علمه وكمال قدرته على العلوم . وأنا أسرد لكم فيما يلي بعض تلك الأقوال والآراء في حق الشيخ :

\* قال العلامة محمد حسين بن محمد اسماعيل الهندي المعروف بـ الفقير :

"ألفه (أي التفسير الرحمانى) صاحب المقامات في مرضاة رب البريات تاج الماهرين ، سند الراسخين ، ذو الجهد والجاه ، تلميذ معلم كريم الله أعنى جناب الخضر ذا الاحترام على نبينا وعليهما الصلاة والسلام مولانا الأجل الأتمثل ومقتدانا الأكمل الأفضل زبدة العلماء ، نخبة العرفاء ، تذكرة المتقدمين ، تكملة المتأخرين الذي به قامت سوق الفضائل والعرفان ، وأجمعت على كماله مجامع أفاضل عباد الله المنان ، الحبر النبيل علي بن أحمد بن حسين بن ابراهيم بن اسماعيل الهندي المهاتمي تغمده الله بالرحمة والرضوان وأسكنه بفضلته بجوحة الجنان ، ويقع في خلدي من حالته ومقاماته أن هذا التفسير المنير من كراماته" (٦) .

\* وقال العلامة محمد قاسم - رحمه الله تعالى - :

"ومؤلفه خاتمة المحققين و واسطة عقد الفضلاء المدققين علامة زمانه ونادرة أوانه صاحب العلوم الجمة والبدائع الحسنة المهمة ذو الفيض الرباني المتحقق بمقام الشهود الإحساني الجامع بين نوري الشريعة والطريقة ، العابر من قنطرة المجاز إلى الحقيقة ، المشار إليه في (التزكية) بأطراف البنان ، المحرز السبق في حلبة الرهان ، المفيد ثواقب الأنظار بالمنطوق والمفهوم سيدنا ومولانا الشيخ علي المهاتمي المخدم" (٧) .

\* قال العلامة الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي في "أخبار الأخيار" ما حاصله :

"كان الشيخ من العلماء (الربانيين) موحدًا ، جامعًا بين العلوم الظاهرة والباطنة ، صاحب المصنفات الرائقة والمؤلفات اللاتقة" (٨) .

\* وقال مولانا فقير محمد الجيلمي اللاهوري ما ترجمته :

كان الشيخ جامعًا بين العلوم الظاهرة والباطنة ، فقيهاً ، محدثًا ، مفسرًا ،

صاحب المصنفات العالية (٩) . **نداء الهند**

مذهبه ومسلكه : وكان الشيخ علي المهاتمي يعتنق بمذهب الإمام محمد بن ادريس الشافعي - رحمه الله - كما يظهر من كلامه حول تفسير التسمية ، فقد أثبت هناك رأى الإمام الشافعي - رحمه الله - ، وانتصر لمذهبه بكل قوة ، ورد على الخصم ردًا عنيفًا ، اقرأ هذا البحث في تفسيره الجليل (ج/١ ، ص/١٤-١٥) ، وقد صرح به مؤرخ الهند الكبير العلامة الشريف السيد عبد الحي الحسني في كتابه "الثقافة الإسلامية في الهند" حيث قال : ومنها تبصير الرحمان وتيسير المنان في تفسير القرآن بالعربية في أربعة مجلدات كبار ، للشيخ علاء الدين علي بن أحمد الشافعي المهاتمي (١٠) .

ربيع الثاني ١٤١٨ هـ

وفاته ومدفنه : وتوفي الشيخ وانتقل إلى جوار رحمة الله تعالى اليوم الثامن من جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وثمانمائة (٨٣٥ هـ) من الهجرة النبوية على صاحبها ألف ألف صلاة وسلام ، ودفن بالقرية المذكورة التي كان يسكنها ، ومدفنه يزار ، والآن هو مشهور بالمخدوم علي المهامي (١١) .

مؤلفاته : ذكر أصحاب التراجم مؤلفات كثيرة للشيخ علي المهامي ، وفيما يلي أذكر بعضاً منها :

١- الزوارف شرح العوارف .

٢- شرح فصوص الحكم ، قال العلامة الشريف السيد عبد الحي الحسني : " شرح الفصوص شرحاً لا نظير له " (١٢) .

٣- شرح النصوص - للشيخ صدر الدين القونوي .

٤- أدلة التوحيد ، بغاية من الإيجاز والتنقيح بإثبات الدلائل العقلية والبراهين القطعية .

نداء المناد

٥- رسالة عجيبة استخرج فيها من وجوه الاعراب في قوله تعالى : ﴿الم \* ذلك الكتاب لا ريب فيه \* هدى للمتقين﴾ ما يبلغ عدده إلى اثني عشر كروراً وثلاثة وثمانين لكَ وأربعة وأربعين ألفاً وخمسمائة وأربعة وعشرين وجهاً ويكتب ذلك بالهندسة هكذا (١٢٨٣٤٤٥٢٤) ذكر جملة صالحة من بيان ذلك في " سبحة المرجان" فليرجع إليه .

٦- "تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن" المعروف بـ "التفسير الرحماني" في مجلدين كبيرين ، هذا الذي نحن بصدد دراسته في هذا البحث ، وهو من أهم مؤلفات الشيخ علي المهامي .

ذكر هذه المؤلفات الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي في "أخبار الأخيار" (١٣) والشيخ صديق حسن القنوجي في أبجد العلوم (١٤) ، وكثير ممن سواهما من أصحاب التراجم ، وله مؤلفات سوى المذكورة أيضاً ، وإليك بعض تلك المصنفات فيما يأتي :

٧- استجلاء البصر في الرد على استقصاء النظر - لابن المطهر الحلبي .

٨- النور الأزهر في شرح النور الأظهر .

٩- إنعام الملك العلام يا حكام حكم الأحكام ، وهذا الكتاب صنفه المصنف في أسرار الفقه ومحاسن الشريعة .

١٠- ترجمة كتاب لمعات العراقي وشرحه .

١١- ترجمة رسالة جام جهان نما .

١٢- آراء الدقائق في شرح مرآة الحقائق ، وهذا شرح رسالة جام جهان نما .

١٣- وله رسالة مستقلة في الفقه الشافعي .

وله غير ذلك من الرسائل ، ذكر هذه المؤلفات مؤرخ الهند الكبير العلامة الشريف السيد عبد الحي الحسيني مدير ندوة العلماء الأسبق في : "نزهة الخواطر" (١٥) .

### التعريف والتفسير :

هذا التفسير من أوجز وأنقى التفاسير العربية ، منفرد في موضوعه ، ولم يسبق له نظير فيه ، بذل المؤلف أكثر مجهوداته وجل مساعيه في سبيل الباس معاني الآيات لباس الربط والترتيب ، ولم يفت في إبراز إعجاز القرآن في إطار الإيجاز وحسن الإنشاء والبلاغة ، واحتل هذا التفسير مكاناً مرموقاً ومنزلة ملموسة من الأوساط العلمية والحلقات الأدبية العربية ، ونال شهرة باهرة وسمعة نادرة وصيتاً

ربيع الثاني ١٤١٨ هـ

ذاتاً من العلماء المهرة الكرام والنبلاء العظام داخل البلاد وخارجها بل شرقاً وغرباً حتى حصل على كلمات المدح والثناء والشكر من رجال العلم واللغة العربية ، والذين لهم إلمام خاص بعلوم القرآن وتفسيره ، وأسماءه : "تفسير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن" المعروف بـ "التفسير الرحماني" . بدأ في تأليفه سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة ، من الهجرة النبوية ، كما يظهر من قول المصنف في المقدمة : "فلم يعارض إلى مدة ثمانمائة وإحدى وثلاثين من الحجج إلا معارضة ركيكة هي ضحكة للناظرين" (١٦) .

مكانة هذا التفسير عند العلماء :

قال العلامة الشيخ محمد البسيوني البياني المصري الأزهري : "أما بعد فهذا كتاب في الكتاب أنجع من الكتاب وأسنى في أوج الشرف الثابت من ثابت الكواكب ، يعترف كل ذي فكر بفضل على التفسير في العموم والخصوص ويشهد له ما جمع من بواهر جواهر الفصوص ، فلعمري لقد حوى من طرائف ظرائف الفنون ما تقر بحسنه العيون ، فمثل هذا فليعمل العاملون ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، وهكذا وهكذا تكون رقائق الألفاظ التي هي أبهى من مغازلة الألفاظ ، وكذا فلتكن أفنان سطور الطروس التي بها تسر نفائس النفوس . كم أفصح عن مكنونات قرآنية وأعرب عن مستورات غيبية ، ونبه على لطف الأساليب بالطف أسلوب وبين فرائد فوائدها لولاها محجوب مع التحقيق الشريف الشريق والتنميق اللطيف الأنيق ، والتعبير الرقيق والتحرير الدقيق والنكات المستعربة والفكاهات المستعذبة والكشف عن وجوه مخدرات آي القرآن وإبرازها على طرف الثمام أي إبراز لأي إنسان ، فلا غرو عن كان السعد خادماً وصاحبه المخدوم على المقدار سمي المنار ، شمس العلوم وبلد الفهوم أتى في تفسيره

بما لم يحوه تفسير وكشف ستر الكشاف حتى تركه أقل من فتيل وقطير وقضى  
على القاضي بسيف حزمه الهندي الماضي ، وقال لسان حاله - ولا فخر - منشداً:

ودع كل صوت غير صوتي فإني

أنا الصائح المحكي والآخر الصدا (١٧)"

\* وقال العلامة محمد حسين بن محمد اسماعيل الهندي المعروف بالفقيه :

"وهذا كتاب كثير معناه وقليل لفظه حارٍ لما يجب استحضاره وحفظه ، ثم  
يقول بعد أسطر : أو ليس هذا التفسير من أقوى الدلائل في فهم أسرار القرآن ،  
وأعظم الوسائط لوضوح معاني الفرقان ، ومظهراً لشأن الجلال والجمال من  
وجوه آيات الله الكبير المتعال ، تنشر به العلوم والمعارف التي يعرف قدرها قلب  
كل عالم وعارف ، كيف لا ؟ وقد تعطرت الأرجاء بطبع هذا الكتاب الذي طالما  
كان يتطلبه الطلاب المسمى بتبصير الرحمن وتيسير المنان لما أودع فيه من رموز  
الأسرار والبيان وكنوز الكشف والتبيان عن جواهر الكتاب الذي لا يأتيه الباطل  
من بين يديه ولا من خلفه ، بأسلوب رائق يعجز كل فصيح عن استيعاب وصفه  
ونكات بديعة ، واستنباطات رفيعة وأفهام ثاقبة واستظهارات صائبة ، وعبارات  
يخر لفصاحتها سبحان ، وي طرح لبلاغتها قس في زوايا النسيان ، وغير ذلك من  
الأوصاف التي يضيق عن حصرها نطاق التعبير وتجل أن يحيط بها تفسير ويحصل  
بها الإرشاد إلى تبصير أسرار كتاب العليم الخبير ، وتيسير فهم لطائف آيات  
اللطيف الخبير ، ولعمري إن اسمه طابق مسماه و وافق مدلوله ومعناه كما يعرف  
ذلك الناقد التحرير ولا يبنك مثل خبير ، ولعمري إنه بالحرى أن يكون له خطوط  
الشعاع خيوط المسطر ويعرف في مداده ماء السلسيل والكوثر ويكتب بأقلام



ربيع الثاني ١٤١٨ هـ

الذهب على صفائح الزبرجد بل على ألواح الزمرد لا بل على حدود الحور بأقلام النور" (١٨) .

\* يقول العلامة محمد قاسم - رحمه الله تعالى - :

"ولما كان التفسير المسمى بـ تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن ، قد طابق اسمه مسماه مع وجازة لفظه وجزالة معناه ، وأشرقت شمس التحقيق من مطالع عباراته وأضاء سنا التدقيق من طوابع تلويناته وإشارات، وأينعت ثمار رياضه وتدفت بسلسله مناهل حياضه وحاز من دقة المعاني ورقة الألفاظ والمباني مع مزج بديع رائق ، وأسلوب عجيب فائق ما لم يسبق مثله ولم ينسج ناسج على منواله فيما رأينا من التفاسير البالغة العدد الكثير وأحرز من الإجادة في أداء الإفادة اليد البيضاء والرقبة الحسناء فهو جنة علم عالية ، لا تسمع فيها لاغية ، ومن أجل فرائده وأجلاها وأعظم فوائده وأعلاها التلويح للدقيق الحكم وتناسب الآيات والتلميح للمعاني التأويلية عند أرباب الإشارات ، لا سيما فاتحة الكتاب فإن فيها العجب العجاب وكذلك فواتح السور فكم أودع فيها من نفائس الدرر فهو طرفة ذوى الآداب وتحفة النبلاء أولى الألباب ، ولعمري إنه لتفسير يعجب به العاملون ومثل هذا فليعمل العاملون" (١٩) .

\* وقال العلامة الشريف عبد الحي الحسيني الندوي - رحمه الله تعالى - :

"وهو تفسير مفرد في حسن الإنشاء وإيراد اللطائف وربط الآيات بعضها ببعض (٢٠) ، ويقول في موضع آخر : قال الشيخ باقر بن مرتضى المدراسي في النفحة العنبرية : إنه حكى الشيخ حبيب الله عن مصنفه أنه قال قابلت تفسيري باللوح المحفوظ (٢١)" [انتهى]



منهجه في هذا التفسير : والذي اطلعنا على منهاج الشيخ الهانمي في هذا التفسير بعد بحث كامل وفحص تام هو أنه يشرع التفسير ببيان وجه التسمية لكل سورة سورة ، ثم يشرح البسمة في كل سورة بما يناسب معاني السورة ، ثم يفسر ويؤول الحروف المقطعات لو كانت السور مبتدأة بها ، ويفسر الآيات بحيث يرتبط المعاني بعضها ببعض ، يظن القاري أنه كلام مسلسل جار على طبيعته وسجته ، وفي بعض المواضع يقدم لبعض الكلمات تحقيقاً أنيقاً لائقاً بالمقام من علوم الفلسفة والمعارف الحكمية ، ثم يختم التفسير بقوله : تم ، والله الموفق والملمم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين .

هناك بعض المناهج اعتمى بها المصنف فأخص بذكر بعضها :

فمن منهاجه أنه يعتني ببيان وجه التسمية لكل سورة سورة اعتناءً بالغاً حتى بين لسورة الفاتحة ١٨/اسماً مع بيان وجه التسمية لكل واحد من تلك الأسماء، وقد أظن الكلام في تفسير الاستعاذة وأتى بغير البيان وأسرار الحكمة ، ومنها أنه يبين شأن النزول أيضاً، كما نرى في سورة المجادلة: (ج/٢ ، ص/٣٢٥) ، وسورة المتحنة : (ج/٢ ، ص/٣٣٥) ، وسورة التحريم : (ج/٢ ، ص/٣٥١) ، وسورة عبس : (ج/٢ ، ص/٣٨٨) وهكذا في غير موضع .

ومنها - كما قلت - إنه يفسر البسمة في كل سورة سورة بما يناسب ويلتزم معاني تلك السورة ومضامينها ، فمثلاً يقول في سورة الطارق :

"﴿ بسم الله ﴾ المتجلية بكمالاته في السماء ﴿ الرحمن ﴾ بخلق الطارق لحفظ تلك الكمالات عليها ﴿ الرحيم ﴾ بحفظ النفوس الإنسانية بالقرآن والقوة النظرية (٢٢)" ، ويقول في سورة الضحى :

"بِسْمِ اللَّهِ ﴿ المتجلى بأسمائه المختلفة في الضحى والليل ليدل على اختلاف أوقات الأنبياء بالوحي وعدمه ﴿ الرحمن ﴾ بعدم موادعتهم وقلاهم عند غلبة ظلمة البشرية عليهم ﴿ الرحيم ﴾ بإعادة غلبة نوره الموجبة للوحي عليهم (٢٣)".

### تأويله لمقطعات القرآن الكريم ::

ومنها أنه يؤول الحروف المقطعات في القرآن الكريم فمثلاً يقول في سورة الجاثية : ﴿ حم ﴾ أي حاوى الحجج وماحي الشبه أو حامى الكمالات ، ومزيل النقائص أو حارث السعادات ومحرق الشقاوات أو حاو النظر ومهد الفكر (٢٤).  
ومثلاً يقول في سورة ق : ﴿ ق ﴾ أي أقسم باسمي القادر على الإرسال والإنزال والبعث والجزاء أو القدوس المقتضى للتطهير عن النقائص أو القابض حق المظلوم من الظالم والأعمال الصالحة إذا قبلها والقائم على كل نفس بما كسبت (٢٥) .  
ومثلاً يقول في سورة مريم : ﴿ كهيعص ﴾ أي كبير هبة يد عزيزة صاعدة أو كافي هداية يقين عال صاف أو كرم هاظل يمن عام صادق أو كاسف هم عظيم صعب أو نحو ذلك مما يناسب المقام (٢٦) .

[يتبع]

- 
- (١) فقير محمد الجلمي "حدائق الحنفية" : ص/٣١٧ ، ط. منشى نول كشور ١٣٠٣ هـ .  
(٢) العلامة الشريف السيد عبدالحى الحسنى "الثقافة الإسلامية في الهند" : ص. ١٦٤ . ط. دمشق ١٣٧٧ هـ .  
(٣) العلامة صديق حسن خان "أبجد العلوم" ج/٣ ، ص/٨٩٣ ، ط. المطبعة الصديقية ١٢٩٥ هـ .  
(٤) القاضي عبد الصمد الصارم "تبيان الراسخ" : ص/٣٠ ، ط. ١٣٥٥ هـ .

- (٥) مقدمة كتاب "تبصير الرحمن وتيسير المنان" : ص/١ ، ط. القاهرة ١٢٩٥هـ .
- (٦) المصدر السابق : ج/٢ ، ص/٤٢٤ . (٧) المصدر السابق : ج/٢ ، ص/٤٢٠ .
- (٨) الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي "أخبار الأخيار في أسرار الأبرار" : ص/١٧٢ ، ط. ١٢٨٣هـ .
- (٩) فقير محمد الجلمي "حدائق الحنفية" ص/٣١٧ ، ط. منشى نول كشور ١٣٠٣هـ .
- (١٠) العلامة الشريف السيد عبد الحي "الثقافة الإسلامية في الهند" : ص/١٦٤ ، ط. دمشق ١٣٧٧هـ .
- (١١) مقدمة "تبصير الرحمن وتيسير المنان" : ج/١ ، ص/١ ، مطبعة بولاق مصر .
- (١٢) "نزهة الخواطر" : ج/٣ ، ص/١٠٦ .
- (١٣) "أخبار الأخيار في أسرار الأبرار" : ص/١٧٢ ، ط. مطبع محمدي دهلي ١٢٨٣هـ .
- (١٤) "أبجد العلوم" : ج/٣ ، ص/٨٩٣-٨٩٤ ، ط. المطبعة الصديقية ١٢٩٥هـ .
- (١٥) "نزهة الخواطر" : ج/٣ ، ص/١٠٥-١٠٦ .
- (١٦) "تبصير الرحمن وتيسير المنان" : ج/١ ، ص/٤١ .
- (١٧) بعض التقاريف على تفسير تبصير الرحمن : ج/٢ ، ص/٤٢٣ .
- (١٨) المصدر السابق : ص/٤٢١ .
- (١٩) المصدر السابق أيضًا : ص/٤٢٠ .
- (٢٠) العلامة الشريف السيد عبد الحي الحسني "الثقافة الإسلامية في الهند" : ص/١٦٤ .
- (٢١) العلامة الشريف السيد عبد الحي الحسني "نزهة الخواطر" : ج/٣ ، ص/١٠٦ .
- (٢٢) المصدر السابق : ج/٢ ، ص/٣٩٧ . (٢٣) المصدر السابق : ج/٢ ، ص/٤٠٣ .
- (٢٤) المصدر السابق : ج/٢ ، ص/٢٦٥ . (٢٥) المصدر السابق : ج/٢ ، ص/٢٩١ .
- (٢٦) المصدر السابق : ج/٢ ، ص/٢١ .

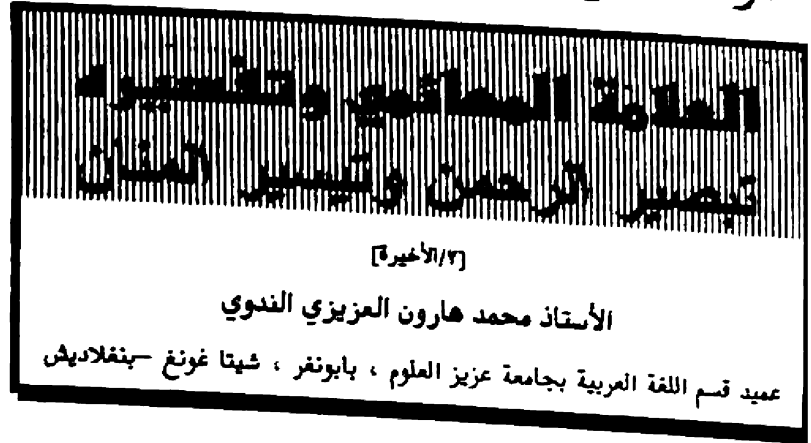
## الشيخ محمد عمر البانفوري

الأستاذ واضح رشيد الندوي

توفي الداعية الكبير الشيخ محمد عمر البانفوري أحد أعلام الدعوة الإسلامية في الهند في ١٣/محرم الحرام ١٤١٨هـ الموافق ٢١/مايو ١٩٩٧م بعد إصابته بنوبة قلبية شديدة خلال رحلة دعوية ، وقد أربى من العمر على ستين سنة قضى أكثرها في الدعوة والإصلاح ، وقد فاق أقرانه في عهده الأخير في العاطفة الدينية ، والجهد المتواصل للدعوة والإصلاح ، والهلم الذي لا يفارقه للنهوض بالمسلمين بالتعليم ، والتربية ، وإصلاح شئونهم ، فكان يخطب في الاجتماعات العامة ، ويوجه أصحاب الفكر والعلم والنفوذ من المسلمين إلى إصلاح أحوال المسلمين ، وحل مشاكلهم ، في لقاءاته الشخصية ، ويفتح المدارس والكتاتيب لتعليم المسلمين ، ويكتب رسائل إلى القادة والمسؤولين ، يوجه اهتمامهم إلى قضايا المسلمين .

كان الشيخ محمد عمر البانفوري شخصية جامعة ، كان يسعى إلى الجمع بين الدعوة على منهج حركة الدعوة والتبليغ ، والتعليم على منهج المدارس الدينية ، وإصلاح المجتمع ، وحل قضايا المسلمين الاجتماعية والاقتصادية ، فكان على صلة بالدعاة ، والعلماء ، وأصحاب رؤوس الأموال ، ورجال الخدمات العامة ، وكانت هذه الجامعة من مزاياه الشخصية ، وكانت حياته نموذجاً لهذا الجمع ، فقد أكمل دراسته في دار العلوم ديوبند ، رغم إصابته بأمراض متواصلة حالت دون مواصلة دراسته ، فانقطع لمدة ، واتصل بالشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ، وقضى هذه الفترة في الدعوة في مركز التبليغ ، وبعد أن تحسنت حالته الصحية ، رجع إلى دراسته فأكملها ، ثم عاد إلى مركز التبليغ ليواصل الدعوة ، وقام برحلات متواصلة في عهد الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ، وتحمل فيها الشدائد لضعف صحته ولكنه أدى واجباته كجندي لا يستريح ، وظهرت براعته في الخطابة ، وكان يقتبس من خطب الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي التي كانت تتجلى فيها عاطفته الإيمانية الجياشة ، وثقته ويقينه بوعد الله ونصرته ، ونفي غير الله ، والإيمان بأن الأمر كله بيد الله ، وبعد وفاة الشيخ محمد يوسف كان يتحمل مسئولية الخطابة

دراسات وأبحاث : من أعلام الهند :



### مميزات هذا التفسير و خصائصه :

ولهذا التفسير ميزات وخصائص فاق بها على كثير من التفاسير ، وأسرد لكم فيما بعد بعضاً منها ، فمن أكبر خصائصه وأعظم مزاياه ربط الآيات بعضها ببعض : ولا شك فإن بيان المناسبة بين الآيات السابقة والآيات اللاحقة من أكبر مزايا هذا التفسير ، أشار إلى هذا العلامة الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي في "أخبار الأخيار" (٢٧) وكما أوماً إلى هذا أيضاً مؤرخ الهند الكبير العلامة الشريف السيد عبد الحي الحسيني في "نزهة الخواطر" (٢٨) و "الثقافة الإسلامية في الهند" (٢٩) ولكن المؤلف نفسه يشير إلى هذا في بداية تفسيره ، ونصه كما يأتي :

"وبعد فهذه خيرات حسان من نكت نظم القرآن لم يطمث أكثرهن انس قبلي ولا جان ، ولم يكن لي أن أمسهن إذ لا يمسهن إلا المطهرون وأنا غريق ببحر خبث هلك فيه الأكثرون ، ولكن الله سبحانه وتعالى من عليّ باليسير في خطبهن الخطير بمحض فضله إذ هو بكل فضل جدير، وعلى كل شئ قدير، فأمكنني أن أبرزهن من خدورهن ليرى بمرايا جواهر صور الإعجاز من بديع ربط كلماته وترتيب آياته من بعد ما كان يعد من قبيل الألفاظ، فيظهر به أنها

جوامع الكلمات ولوامع الآيات لا مبدل لكلماته ولا معدل عن تحقيقاته ،  
فكل كلمة سلطان دارها وكل آية برهان جارها" (٣٠) .

ومن مزاياه أن المصنف ذكر في أول تفسيره أموراً ثلاثة تتعلق بالقرآن  
وتفسيره :

الأول : في أن القرآن كلام الله مخلوق أم لا ؟ فمال المصنف إلى أن كلام الله  
صفته الذاتية القائمة به وهذه العبارات التي تتلى أعراض غير قارة مؤلفة  
مرتبة ليست صفته ، ثم قال : "فهذه الصفة وأن تعلقت بما لا يتناهى فلا  
تأليف ولا ترتيب وليست نفس المنقسم إلى الأخبار والطلب إذ ليسا من  
جزئياته بل من متعلقاته وهو نفس المتلو والمحفوظ والمكتوب وإن كانت التلاوة  
والحفظ والكتابة منا وإن أريد بها الحاصل بالمصدر حادثة ، والقرآن اسم  
لذلك المعنى ، وهذه العبارات بالاشتراك ، والأول كلام الله تعالى بمعنى أنه  
صفته ، والثاني بمعنى أنه ليس من صنع غيره" .

الثاني : في مفهوم الإنزال وحقيقته .

والأمر الثالث : بين فيه مسألة الاستنباط ، هل يجوز أم لا ؟ ومتى لا يجوز ؟  
وأي قسم من التفسير محمود وأي منه مذموم ؟ بين هذه الأمور بحوالة الإحياء  
للغزالي وشارح التأويلات ، ثم يقول في الآخر : "أقول) لك أن تحمل النهي  
على جميع الوجوه المذمومة سوى تفسير المتشابه بما يوافق احكم فله فوائد لا  
تحصى ، والمنوع حمله على ظاهره أو على ما يهواه" (٣١) .

ومن كلامه يظهر أنه يرى تفسير المتشابه بما يوافق المحكمات القرآنية  
حسناً بل يجعل له فوائد لا تستقصى وكما يظهر هذا من تأويله لمقطعات  
القرآن أيضاً .

## اعتناءه البالغ ببيان الأسرار القرآنية :

ومن أهم خصائصه أنه يهتم ببيان الأسرار القرآنية اهتماماً كبيراً ، كما تراه بين اللطائف في المجلد الأول ص/ ٢٤-٢٥ و/ ٢٧ ، وفي الثاني ص/ ١٨ و/ ١٣٧ و/ ٢١٤-٢٢٣ وما إلى ذلك من المواضع الكثيرة في هذا التفسير ، وأقدم لكم نموذجاً واحداً منها لكي يكون القارئ لهذا التفسير على خبرة وبصيرة .

يقول المصنف تحت قوله تعالى : ﴿ يَاكَ نَعْبُدُ وَيَاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ : "والسر في العبادة من وجوه :

الأول : أن الله تعالى لكمال ذاته وصفاته وأفعاله يقتضى أن يتدلل له من لا يخلو عن نقص لغاية تعظيمه رعاية للحكمة الواضعة كل شئ موضعه .

الثاني : أنه تعالى منعم على الإنسان بغاية الانعام ، إذ جعله مختصر الحضرة الإلهية بما أفاض عليه من الوجود والحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام ، ومختصر العالم لأنه بالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة كالعناصر وبالتركيب كالمعادن وبالغذاء والتوليد كالنبات وبالخس والتخيل والتوهم والتلذذ والتألم كالحيون وبالجراءة كالسبع وبالمكر كالشيطان وبالمعرفة كالملك وباجتماع الحكم فيه كاللوح المحفوظ وبما يثبت بكلامه صور الأشياء في القلوب كالقلم الأعلى فلا بد أن يشكره بصرف نعمه إلى ما خلقها من أجله ، وقد أعطى العقل للمعرفة والآلات الجسمانية لتكييف الجوارح بهينة العبادة الحافظة للمعرفة فبهيمته لتكميل ملكيته بمساعدة أعمال البدن أعمال القلب لارتباط بينهما فالإنسان مخلوق للمعرفة والعبادة فلوا خل بشئ منهما لم يكن إنساناً بالحقيقة ، ولما عارض العقل في ذلك الوهم والخيال أيده



بالشرع فلو فقد عجز العقل عن إدراك أكثر الأمور فالعقل بصر والشرع شعاع .

الثالث : الإنسان يفتقر في تغيشه إلى معاونة ومعاملة لا يتم إلا بالعدل ولا يتفق عليه ما لم يعلم كونه من الله ولا يتم إلا برجاء الثواب وخوف العقاب ولا يتم إلا بما يذكر الإله على التكرير، والذكر القلبي إنما يتم بأفعال الجوارح .

الرابع : إن الكمال الإنساني أن تنجلي مرآة قلبه فيحاذي شطر الحق ويلحق بأفق الملائكة وإلا تراكم الخبث على مرآة القلب باتباع الشهوات المظلمة فيلحق بأفق البهائم ولا ينجلي إلا بالمجاهدة وهي بالعبادة القائمة بالأمومة التي هي أمراض القلب المؤلمة عند مفارقة الروح من البدن فالعبادات أدويتها تنير القلب بالمشاهدة وتشرف اللسان بالذكر وتزين الأعضاء بالخدمة، وهي وإن كانت تذلاً في الظاهر فباطنها عز وتجميل ، ويكفي في ذلك أنها اشتغال بالحق وفيه كمال لذة العارفين وبه تقر أعينهم وتسرق قلوبهم وتريح أرواحهم" .

### نداء الهند

ثم يقول : "والسر في الاستعانة من وجوه" :

الأول : إن العبادة وإن كانت كسباً للعبد فهي بخواطر لا يشعر بها العبد قبل وقوعها فهي باحداث الله وكذا العلم بنفعها وضررها ولا يلجئ إلى الفعل ما لم يكن راسخاً ، ولا قدرة للعبد في ذلك فهو بعون الله تعالى وإنما هو في الغالب للمستعين به .

الثاني : العقل يختار الأصلح في العواقب ، وإن كان فيه مشقة ومؤنة في الحال، والهوى يؤثر ما يدفع الأذى في الحال وتعمى عليه العواقب فيتنازعان ويكون

الترجيح غالباً لجند الهوى لسبقه واستقراره بمملكة القلب فلا يمكن إزعاجه إلا بعون الله تعالى .

الثالث : العباداة لا تيسر إلا برفع العوائق الدنيا والخلق والشيطان والنفس ورفع العوارض الرزق والأخطار والمصائب وأنواع القضاء ورفع القوادح الرياء والعجب وغيرهما وبتحقيق البواعث الخوف والرجاء وكل ذلك عقبة شاقة لا ييسر قطعها إلا بعون الله وتوفيقه (٣٢) .

### حملته على البيضاوي في تفسيره :

وكذلك نجد المؤلف يأخذ من القاضي البيضاوي في التفسير في بعض الأمور وأبين لكم نموذجاً من تلك المواضع .

فمثلاً يقول تحت : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ : "وفسر البيضاوي : ﴿ المغضوب عليهم ﴾ بالعصاة و ﴿ الضالين ﴾ بالجاهلين بالله لأن المنعم عليه من جمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فيقابله من أخل بأحدهما فالمنحل بالعمل فاسق مغضوب عليه وبالعقل جاهل ضال ، وأقول (أي المصنف) المغضوب عليه المعاند في الكفر تقليداً أو تقصيراً والمعتمد بالمعاصي ، والضال الواقع في الكفر تقليداً أو تقصيراً في النظر وفي المعاصي اعتماداً على كرم الله وعفوه أو المغضوب عليه الكافر والضال المتدع أو المغضوب عليه المنتقم منه والضال المخطئ ، أعم منه ومن المعفو عنه ، وهذا أقرب حذر عن متابعتهم لأنها كمتابعة أعداء الملوك يجعل التابع في حكم المتبرع" (٣٣) .

### موقفه من الإسرائيليات :

يظهر لنا من دراسة تفسيره أنه لا يبالي ببيان الروايات الإسرائيلية ، مع أن بعضها موضوع كذب محض وبعضها في غاية من الضعف وبعضها من

الواهيات والخرافات والأساطير أيضاً ، ولعله تقلد واتبع من ذهب قبله من المفسرين على هذا المنوال ، وتراه في المجلد الثاني ص/ ٢٠٥-٢٠٦ و/ ٣٧ و/ ١٠٥ ، ١١٦ ، ١٥٩ ، وكذلك في غير واحد من المواضع ، وطوينا الصّفح عن إيراد النماذج خوفاً من الاطناب .

طبع هذا الكتاب :

ها هو ذا وقد تم طبع هذا الكتاب الحسن و وضعه الأنيق المستحسن في دولة عزيز مصر الحديبو اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي - رحمه الله - بإرادة جليل المفاخر سعادت حسين بك الحسيني مدير المطبعة ونظارة ذي المعارف التي تشي وكيلهما حضرة محمد آفندي حسني وتوج بتاج الكمال في أواخر شهر شوال عام ١٢٩٥ هـ وبين تاريخ طبعه في الشعر هكذا .

ومذ تنأهى له الإسعاد أرخه \* للطبع لطف لدا تبصير رحمن ١٢٩٥ هـ

وتحقق طبعه في مصر المحروسة ببذل الجهد والعناية من مولانا الشيخ محمد

جمال الدين وزير مملكة بوفال .

وبهامش هذا الكتاب : "نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن" - للإمام

أبي بكر محمد بن عزيز السجستاني - رحمه الله تعالى - .

وكتاب "تبصير الرحمن" من أول سورة الفاتحة إلى سورة الناس تفسير

مكمل في مجلدين كبارين تلقته الأمة بالقبول ، فهو المتداول اليوم بين العلماء شرقاً وغرباً .

هذا ، وأختم كلامي في دراسة هذا التفسير العظيم المشتهر في الآفاق ،

وصلّى الله على سيدنا ونبينا محمد خاتم النبيين صاحب القرآن وحامل لواء

البيان وعلى آله وصحبه وأهل بيته وذرياته وعلماء أمته ورواة حديثه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً .

### الهوامش :

- (٢٧) أخبار الأخيار في أسرار الأبرار : ص/١٧٢ .  
 (٢٨) نزهة الخواطر: ج/٣ ، ص/١٠٦ . (٢٩) الثقافة الإسلامية في الهند: ص/١٦٤ .  
 (٣٠) ج/١ ، ص/٤ . (٣١) ج/١ ، ص/٤ ، ٥ ، ٦ .  
 (٣٢) تبصير الرحمن وتيسير المنان : ج/١ ، ص/٢٤-٢٥ .  
 (٣٣) تبصير الرحمن وتيسير المنان : ج/١ ، ص/٣١-٣٢ .

### المراجع :

- ١- العلامة علاء الدين علي المهاتمي : "تبصير الرحمن وتيسير المنان" طبع القاهرة ١٢٩٥ هـ .  
 ٢- العلامة الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي : "أخبار الأخيار في أسرار الأبرار" طبعت عام ١٢٨٣ هـ .  
 ٣- العلامة صديق حسن القنوجي : "أبجد العلوم" المجلد الثالث ، طبعت عام ١٢٩٥ هـ .  
 ٤- العلامة الشريف السيد عبد الحي الحسني : "نزهة الخواطر" المجلد الثالث .  
 ٥- العلامة الشريف السيد عبد الحي الحسني : "الثقافة الإسلامية في الهند" طبع دمشق عام ١٣٧٧ هـ .  
 ٦- الشيخ فقير محمد الجيلمي : "حدائق الحنفية" طبع منشى نول كشور ١٣٠٣ هـ (الهند)  
 ٧- القاضي عبد الصمد الصارم : "بيان الراسخ" طبع ١٣٥٥ هـ .